

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة جامعة أم القرى

لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها

المجلد (١٥) العدد (٢٧)

جمادى الثانية ١٤٢٤هـ / أغسطس (آب) ٢٠٠٣م

محتويات العدد

طلب اشتراك

رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها **المحترم**

ص. ب (٧١٥) – مكة المكرمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: يطيب لي أن أبين عن رغبتي في الاشتراك في المجلة، وآمل إرسالها إليَّ على العنوان التالي:

الاسم : --

العنوان: --

وتجدون برفقته شيكاً برقم: ( ) رسم اشتراك.

- لسنة واحـــدة (ثلاثة أعداد) (١٢٠) ريالاً.
- لســـــنتـــــين (ستة أعداد) (٢٤٠) ريالاً.
- لثلاث سنوات (تسعة أعداد) (٣٦٠) ريالاً.

وتقبلوا تحياتي ،،

التوقيع:

للاستعمال الرسمي:

اسم المشــــترك:

عنوانـــــــــه:

مدة الاشــــتراك: تبدأ من العدد ( )

متابعة الإرســـال:

ع في / /	ع في / /	ع في / /	ع في / /	ع في / /
ع في / /	ع في / /	ع في / /	ع في / /	ع في / /

المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصحيح
من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري

أ. د. محمد بن زين العابدين رستم
كلية الآداب - جامعة القاضي عياض
بني ملال - المغرب

ملخص البحث

تعنى هذه الدراسة بالحديث عن تاريخ دخول صحيح البخاري إلى الأندلس؛ وعناية أهلها به؛ رواية ودراية؛ ووضعا للتآليف عليه؛ كما تعنى هذه الدراسة أيضا بالحديث عن " المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصحيح من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري" مع تفصيل القول في أعلام هذه المدرسة؛ وخصائصها وأثرها في شروح أهل المشرق للجامع الصحيح، ولقد فصل صاحبها القول في ثلاثة شروح أندلسية نادرة قل من التفت إليها؛ وهي شرح أبي الزناد القرطبي؛ وشرح ابن سهل الأندلسي وشرح ابن ورد المري.

المقدمة:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مُضلَّ لَهُ، ومن يضلل فلا هادي لَهُ، وأشهد أن لا إله إلاَّ اللهُ وحده لا شريك لَهُ، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، بلّغ الرسالة، وأدَّى الأمانةَ، ونَصَحَ الأمّة، وَجَاهَدَ في الله حقّ جهاده حتّى أتاهُ اليقين، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلقد كان دُخولُ «الجامع الصّحيح» للإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) إلى الأندلس فَتْحًا مُبينًا، ونَصْرًا مكينًا، حيثُ أَنسَتْ به أَرْوَاحُ أهلِ تلك النّاحية منْ بلاد الإسْلام، فَتَعَطَّرتْ به مجالسُ أهلِ العلْم، وَحَيِيَتْ به نَوادي أهلِ الفَضْل هُناك، ثمَّ كَما طارَ الكتابُ في الأندلس أيّما مَطَارٍ، واْشتهر ذكْرُهُ فيها أيَّما اْشتهار، أَقْبَلَ عليه أهلُها تَفَقُّهًا في دَقيق مَعَانيه، وتَفَهُّمًا لخَفيِّ مقاصده ومَبانيه، فَكَانَ من كلِّ ذلك تصانيفُ مُمْتعَةٌ حفَالٌ، زَخَرَتْ بها المكتبةُ الأندلسية، أنَارَتْ سَمَاءَ العلْم في الغَرْب الإسلامي. وتُعنى هذه الدراسةُ بالحديث عن «مدرسة الأندلس في شَرْح الجامع الصّحيح للإمام البخاري»، وذلك منْ خلاَل تَتَبُّع كُتُبِ وتصانيف أهلِ هذه الطَّبقة منَ الشُّراحِ، الذين تَعَلَّقتْ همَمُهُمْ بخدمة هذا الكتاب الجليل، والأَثَرِ الرَّائع النّفيس.

ولقد بَعَثَ على هذه الدّراسة جملةُ أسبَابٍ منها:

١–قلّة البُحوث والدّراسات التّي أُلّفت في المدرسة الأندلسية في شَرْح «الجامع الصّحيح»، ولَعَلَّ السبب في عُزُوف الباحثين المعاصرين عن هذا الضَّرب من التأليف والبحث، قلّةُ المعلومات المُسْعِفَة في الدّراسة، وتناثرها –على قلّتها وعزَّتها– في بُطون مُجلّدات كثيرة...

٢– عدمُ معرفة كثيرٍ منْ أهلِ التّخصص ببعض شرَّاح «الجامع الصّحيح» من أهل الأندلس، وجَهْلُ كثيرٍ منْ أهل العلم الشّرعي بأسماءِ هؤلاء الشَّارحين الذّين تَرِدُ النُّقول عَنْهم في الكتب المشرقية التي يَسْتَمدُّون منْها.

٣–الأثرُ الواضحُ المُبين، لهذه المَدْرَسة الأَندلسية منْ طَبَقَة شُرَّاح «الجامع الصحيح» في الشُّروح المَشْرقية التي استَمَدَّ أصحابُها منْ شُروح أندلسية نادرةٍ أوْ مفقودةٍ، ثمَّ صَدَرُوا عنْها وقد نَهَلُوا واْرْتَوَوْا.

ولقد بَنَيْتُ هذه الدراسةَ على ثلاثة مباحث، تندرج تحتها مطالب على هذا النّحو:

❋المبحث الأول: عناية أهل الأندلس بالجامع الصّحيح وفيه:

المطلب الأوّل: تاريخ دُخول الجامع الصّحيح إلى الأندلس.

المطلب الثاني: عناية أهل الأندلس بالجامع الصّحيح.

❋المبحث الثاني: المدرسة الأندلسية في شَرْح الجامع الصحيح وفيه:

المطلب الأوّل: تآليف أهل الأندلس الموضوعة على الجامع الصّحيح.

المطلب الثاني: شُروح أهل الأندلس للجامع الصّحيح

❋المبحث الثالث: خصائص المدرسة الأندلسية في شَرْح الجامع الصّحيح. وفيه:

المطلب الأوّل: مُجمل مميزات المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصّحيح.

المطلب الثاني: أثر المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصّحيح في المشرق الإسلامي

❋خاتمة الدّراسة: وفيها خلاصةٌ بأَهَمِّ نتائج البحث.

وأسأل الله المنّان، الحظوةَ والقَبول لهذه الدِّراسة، وأن يُقيلَ عَثَرَاتي، ويتجاوز عن سَيِّئاتي، ويغفر لي يوم الدِّين، إنّه على كلّ شيء قدير، وهُوَ نِعْمَ الوليُّ، ونِعْمَ النَّصير.

المبحث الأول : عناية أهل الأندلس بالجامع الصّحيح

هذا المبحث مَعْقُودٌ للكلام على تاريخ دُخول الجامع الصّحيح للإمام البخاري إلى الأندلس، وَمَعْرِفَة أهلها به، ثُمَّ للكلام بعد ذلك على جُملةٍ منْ مظاهرِ عنايةِ أهل الأندلس بالجامع الصّحيح، واْهتِبَالِهم بِهِ روايةً ودرايةً.

المطلب الأول : تاريخ دُخول الجامع الصّحيح إلى الأندلس

لا يُدرى على وَجْه التَّحديد، منْ هو أوّل منْ أَدْخَلَ «الجامع الصّحيح» إلى الأندلس، وغايةُ المَوْجُود في المصادر الأندلسية، التّنصيصُ على ثلاثةٍ من أهل الأندلس رَحَلُوا قديمًا إلى المشرق، فسمعوا «الجامع الصَّحيح» من بعضِ رُواته، وهم:

١–محمد بن يحيى بن زكريا أبو عبد الله المعروف بابن برطال (ت ٣٩٤هـ)[١]: الذي رَحَلَ إلى المشرق سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، فسمع بمصر طائفةً من أهل العلم، منْ بينهم: الحافظ ابن السّكن [٢]، ولقد نَشَرَ ابنُ

برطال صحيح البُخاريِّ برواية ابن السَّكن في الأندلس، وفي ذلك يقولُ ابنُ الفرضي (ت ٤٠٣هـ) : "... وقد حدّث بكتاب البُخاري عن أبي علي بن السَّكن، وقرأتُه عليه، وَسَمِعَهُ مَعَنَا جماعةٌ من الشُّيوخ والكُهُول"(٣) .

٢- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجُهني الطُّلَيْطلي (ت ٣٩٥هـ) (٤) : الذّي رَحَل إلى المشرق سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة "فَسَمِعَ من أبي علي بن السَّكن بِمصر"(٥) .

٣- عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي (ت ٣٩٢هـ) (٦): الرَّاحلُ إلى المشرق سنة ٣٥١هـ أو ٣٥٢هـ(٧)، يقول القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ): "وَحجَّ سنة ثلاث وخمسين، فَلَقِيَ بمكَّة أبا زيد المروزي، سَمِعَ منْه البُخاري ... قال أبو عمر بن الحذَّاء: أَقَامَ بالمشرق نحو ثلاثة عَشَرَ عَامًا، وَسَمِعَ ببغداد عَرْضَتَهُ الثَّانية في البُخاري من أبي زَيْد، وسَمِعَهُ أيْضا من أبي أحمد الجرجاني، وعليهما يَعْتَمِدُ"(٨).

ولَمَّا عاد الأصيليُّ منْ رحلته، وَوَصَلَ إلى الأندلس "قَرَأَ عليه النَّاس كتاب البُخاري رواية أبي زيد المَرْوَزي، وغير ذلك"(٩) .

فهؤلاء الثلاثةُ الأعلامُ -الذّين كانُوا في عَصْرٍ واحدٍ- يُعَدُّون من أوائل الرُّواة الذين أدْخلوا صحيح البخاريِّ إلى الدّيار الأندلسية.

ولابدّ هنا من التنبيه على ثلاثة أُمور مُهمَّة هي:

أوَّلاً: دُخُول بعض كُتب أهلِ الحديث، الذّين كانوا في عصْر الإمام البُخاري إلى الأندلس، قَبْلَ دُخول«الجامع الصّحيح» إليها، ومن هذه الكُتب: سنن النَّسائي (ت ٣٠٣هـ)، فقد جَلَبَها إلى الأندلس أبو بكر محمد بن معاوية المعروف بابن الأحمر(١٠) (ت ٣٥٨هـ)، قال الحميديُّ في ترجمته: "رَحَلَ قَبْلَ الثلاثمائة...وسمع أبا عبد الرحمن بن شعيب النَّسْوي، وهو أوَّل مَنْ أَدْخَل الأندلسَ مُصَنَّفَهُ في السُّنن، وحدَّث به، وانتشر عنْه"(١١).

ومن هذه الكتب أيْضا سُنَنُ أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، فقد نَقَلَ ابنُ خير (ت ٥٧٥هـ) عن أبي محمد بن يربوع قال: "... وهؤلاء القرطبيُّون لم يدْخل عندهم منْ أوَّل ما دَخَلَ إلاّ كتابُ أبي داود فالْتَمُّوا به، وأمّا الكتبُ الصّحاحُ فَلَمْ تَدْخُلْ عندهم إلاّ بأَخَرَة، وكانوا بمعزلٍ عَنْ مَعْرفة الصَّحيح لأنَّه قدْ ضُرب بَيْنَهُم وبين الصّناعة بأسْداد، فَهُمْ على بُعْد شديد من السَّداد"(١٢).

ثانيا: لَعَلَّ مَرَدَّ تَأَخُّر دُخول«الجامع الصّحيح» إلى الأندلس، غَلَبَةُ فقه مالك، وآراء تلاميذه على أَهْلها، وتَعصُّب بعضُ الأندلسيين للرَّأي وتقديمه على

الحديث والأثر، ومِمَّن يُمَثِّل هذا الاتجاه الفُروعي المُقَلِّد في المدرسة الفقهية الأندلس في عصر الإمام البخاري:

أ– عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل القرطبي(١٣) (ت **٢٥٩هـ**): قال ابنُ عبد البر (ت **٤١٣هـ**) في وَصْفه: "وكان رَأْسَ المالكية بالأندلس، والقائم بها، والذَابَّ عَنْها"(١٤) بَيْد أنَّ القاضي عياض قال فيه: "وتفقّه، ولَمْ يَكُنْ لَهُ علمٌ بالحديث"(١٥). ومن هُنا نُعَلِّلُ شدَّتَهُ على أصحاب بقي بن مخلد (ت **٢٧٦هـ**) بَاعث الحديث في الأندلس(١٦).

ب– يحيى بن إبراهيم بن مزين القُرطبي(١٧) (ت **٢٥٩هـ**): قال القاضي عياض: "... وقال ابن لبابة: أفقه مَنْ رأيتُ في علْم مالك وأصْحابه، يحيى بن مزين"(١٨). لكن نَقَل عياضٌ عن أبي عبد الملك قال: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ على ذلك علْمٌ بالحديث"(١٩).

ت–أصبغ بن خليل القُرطبي(٢٠) (ت **٢٧٣هـ**): قال ابن الفرضي في ترجمته: "كان حافظًا للرَّأي على مذهب مالك وأصحابه... دَارت الفُتيا عليه بالأندلس خمسين عَامًا...ولَمْ يكن لَهُ علمٌ بالحديث، ولا معرفة بطُرقه، بَلْ كان يُبَاعدُهُ ويطعن على أصحابه..."(٢١). وَبَلغَ التَعَصبُ بأصبغ بن خليل مبلغًا عظيما، حَمَلَهُ على التَنفير من مُسند ابن أبي شيبة الذّي جَلَبَهُ بقي بن مخلد في وَقْته(٢٢)، حتّى قال: "لأَنْ يكونَ في تَابُوتِ رَأْسُ خنْزيرٌ، أحب إليَّ منْ أَنْ يكونَ فيه مُسْنَدُ ابن أبي شيبة"(٢٣).

ومع الذّي وَصَفْنَاهُ من انصراف أَغْلَب أهل الأندلس عن الحديث وعلومه وكُتبه، فَلَمْ يَخلُ القرنُ الثالثُ الهجريُ في الأندلس منْ أئمة أَعْلاَم نَبَذُوا التَّقْليدَ، وأَظْهَرُوا القولَ بالحديث والأثر، وَرَوَّجُوا لكُتُب الإسْنَاد والرِّواية، ومن بين هؤلاء الرُّفعاء المَشْهُورين: بَقيُّ بن مَخْلد(٢٤)، ومحمد بن وضّاح(٢٥) (ت **٢٨٧هـ**) اللذَان صارت الأندلس بهما دَارَ حديث كما يقول ابنُ الفَرَضي(٢٦).

وَلَمَّا وَصَفَ ابنُ العربي (ت **٥٤٣هـ**) حال مُتَعَصّبة المالكية في زمانه وَقَبْلَه، نَوَّهَ ببقي بن مَخْلد ومحمد بن وضَّاح، ثمَّ قال: "...وَلَوْلاَ أنَّ طائفةً نَفَرَتْ إلى دار العلم، وجاءت بلُبَاب منْه كالأصيلي والباجي، فَرَشَّتْ منْ ماء العلم على هذه القُلوب الميتة، وعطَّرت أَنْفَاس الأُمَّة الزَّفْرة، لَكَانَ الدّينُ قَدْ ذَهَبَ"(٢٧).

–ثالثا:تَدَاوَلَ أهلُ الأندلس روايات أخرى ‹‹للجامع الصّحيح››، غير تلك التي أَدْخلها مَنْ سَبَقَت الإشارة إليهم آنفاً، وذلك يُفهم منْه أنَّ الأندلسيين ما عَرَفُوا صحيح البُخاري لأَوَّل وَهْلَة، إلاَّ بواسطة تلك الروايات، ثمَّ لَمَّا مضَى حينٌ منَ الدَّهْرِ انتشرت بَيْنهُم رواياتٌ أخرى ‹‹للجامع الصّحيح›› كما سَنَذْكُر ذلك في المَوْضع الذّي هو أَمْلَكُ به.

المطلب الثاني : عناية أهل الأندلس بالجامع الصحيح

بادر أهلُ الأندلس إلى الرِّحلة إلى المشرق، حيثُ دَارُ العلم، ومأوى الآداب، وَمَوْئلُ الفضائل والفُنون، فكان أَنْ دَخَلَتْ إلى أرض الفردوس المَفْقُود، كُتبٌ مشرقيّةٌ كثيرةٌ، في ضُرُوبٍ من العلم عديدة، تَفَنَّنَ أهلُ العلم في الأندلس في الحَفَاوة بها، وإِكْرَامِ وفادتها.

بَيْدَ أنَّ أهل الأندلس بَلَغُوا في الحفاوة ‹‹بالجامع الصّحيح›› شَأْوًا عظيمًا، ولَنَا على ذلك دلائلُ وأماراتٌ نَسُوقُهَا على هذا النّحو:

١–رحلةُ كثير منْ أهل الحديث بالأندلس إلى المشرق، لتحصيل ‹‹الجامع الصّحيح›› بالسّماع المُتّصل إلى الإمام البُخاري:

فَمِن بين مَنْ رَحَل مِمَّن لم يتقدم لهم ذِكْرٌ:

*من أهل المائة الرَّابعة:

١–أصبغ بن قاسم أبو القاسم[٢٨] (ت ٣٦٣هـــ): "...رحل إلى المشرق فسمع بمكة...ومن أبي محمد صالح بن محمّد الأصبهاني، سمع منْه كتاب محمد بن إسماعيل البخاري، حدَّثه به عَنْ أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد بن معقل النَّسفي –من أهل نسف– عن البُخاري"[٢٩].

٢–جعفر بن يحيى بن وهب الفهري القُرطبي[٣٠] (توفي بعد سنة ٣٧٠هـــ): "رحل إلى المشرق...سمع من أبي زيد المَرْوَزي رواية كتاب البخاري"[٣١].

٣–عبدوس بن محمد بن عبدوس الطليطلي[٣٢] (ت ٣٩٠هـــ): "رحل إلى المَشْرق رحلتين...ودَخَل الشام في رحلتَيْه جميعًا، وكَتَبَ بها عن أحمد بن صالح

الرملي...وأبي زيد المروزي رواية كتاب البخاري، سمع منه بعضَ الكتاب، وَأَجَازَ لَهُ بعضَه"[٣٣].

*ومن أهل المائة الخامسة:

١-أحمد بن يحيى بن عائذ الطَّرْطُوشي [٣٤]: (لم أقف على سنة وفاته): وأفاد ابنُ الأبَّار (ت ٦٥٧هـ) أنَّه وَجَد اسمه في السَّامعين من أبي مطير (كذا) ذَرٍّ الهروي صحيح البخاري بمكة، وَبِدَار خديجة بنت خويلد...في ذي الحجَّة من سَنَة تسع عشرة وأربعمائة"[٣٥].

٢-إسماعيل بن خلف بن سعيد السَّرقسطي[٣٦]: (لم أقف على وفاته): "كانت لَهُ رحلةٌ حَجَّ فيها، وقرأ على أبي ذر الهروي صحيح البُخاري في ذي الحجة سنة تسع عشرة وأربعمائة..."[٣٧].

٣-محمد بن شريح بن أحمد الرُّعيني الإشبيلي[٣٨] (ت ٤٧٦هـ): "حَجَّ في مَوْسم سنة ثلاث وثلاثين[٣٩]، فَسَمِعَ بالحرم الشَّريف أَبَا ذَرٍّ الهَرَوي، سمع عليه صحيح البُخاري عند باب النَّدوة"[٤٠].

٤-أحمد بن عُمر بن أنس العُذري من أهل المرية[٤١] (ت ٤٧٨هـ): "رَحَل إلى المشرق مع أبويه... وَصَحبَ الشيخَ الحافظَ أبا ذَرٍّ عَبْد بن أحمد الهَروي، وَسَمِعَ منْه صحيح البخاريِّ مرَّات"[٤٢].

٥-محمد بن خلف بن مسعود القُرطبي[٤٣] (ت ٤٨٥هـ): "رَحَلَ إلى المشرق، وحجَّ وَسَمع من أبي ذَرٍّ الهروي "صحيح البخاري" سنة خمس عشرة وأربعمائة، وأجاز لَهُ"[٤٤].

٦-محمد بن أحمد بن عيسى أبو عبد الله ابن منظور القيسي الإشبيلي[٤٥]:

(ت ٤٩٩هـ): "رَحَل إلى المشرق وَلَقِيَ بمكَّة: أبا ذر عبد بن أحمد وصَحِبَهُ، وَجَاوَرَ مَعَهُ مدة، وكَتَبَ عنْه الجامع الصّحيح للبُخاري"[٤٦].

*ومن أهل المائة السادسة:

١-أحمد بن محمد الأنصاري الشارقي الأندلسي أبو العبّاس[٤٧]: (ت قريبًا من سنة ٥٠٠هـ): "لَهُ رحلةٌ حَجَّ فيها، وسمع من كريمة كتاب البخاري"[٤٨].

٢-أحمد بن عثمان بن مكْحول أبو العبَّاس السَّاكن بالمرية[٤٩]: ت

٥١٣هـ): "رحل إلى المشرق سنة إحدى وخَمْسين وأربعمائة فَحَجَّ، وأَخَذَ عن كريمة بنت أحمد بن محمد المَرْوَزي"(٥٠).

٣-أحمد بن عبد الله العطّار القرطبي(٥١): (ت ٥١٨هـ): "لَهُ رحلةٌ حَجَّ فيها، ولقي كريمة المروزية، فَرَوَى عنْها صحيح البُخاري"(٥٢).

٤-عيسى بن محمّد بن عبد الله الزهري أبو الأصبغ الشنتريني(٥٣): (ت في نحو ٥٣٠هـ): "لَهُ سماعٌ قديمٌ بالمشرق من كريمة بنت أحمد لكتاب البخاري"(٥٤).

٥- علي بن عبد الله بن ثابت الأنصاري الخزرجي الغَرناطي(٥٥): (ت ٥٣٩هـ): "رحل حاجًّا في سنة سبع وتسعين(٥٦)، فسمع بمكة من أبي علي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهَرَوي صحيح البخاري، إلاَّ تسع وَرَقات منْه"(٥٧).

٦- الحسن بن محمد بن الحسن الأنصاري من أهل المرية(٥٨): (ت ٥٨٥هـ): "رحل حاجًّا...وجاوَرَ بمكة، وأخذ بها عن أبي الحسن علي بن حميد الطرابلسي صحيح البخاري" (٥٩).

*ومن أهل المائة السابعة:

١-يحيى بن عبد الملك بن يحيى بن أبي الغصن اللّخمي(٦٠): (ت ٦٥٩هـ) "رحل إلى المشرق وحَجَّ، ولقي في رحلته جلّة وأخذ عنْهم، كأبي محمد يونس بن أبي البركات الهاشمي، سمع عليه صحيح البخاري بمكة شرَّفَها اللهُ سنة ٦٠٨"(٦١).

٢-عناية أهل الأندلس بنَقْل الجامع الصّحيح عن جامعه، بروايات مختلفة، وطرق متعددة: بَيَدَ أنَّ مدارَ هذه الروايات والطرقِ على النَّسفي (ت ٢٩٤هـ) والفربري (ت ٣٢٠هـ)، وفي ذلك يقول القاضي عياض: "... ولم تدخل هذه البلاد(٦٢) روايةُ البُخاري إلاَّ من هذين الطَّريقَيْن عن الفربري والنَّسفي"(٦٣).

فمن هذه الروايات التي راجتْ عند أهل الأندلس:

أ-رواية ابن السّكن: وقد روى عنه من الأندلسيين: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجهني الطليطلي كما تقدّم بيانُه.

ب-رواية أبي زيد المروزي (ت ٣٧١هـ): وممّن يروي "البخاريّ" من طريقها -ممّن لم يتقدم لَهُ ذكرٌ- ابنُ خير الإشبيلي(٦٤) (ت ٥٧٥هـ).

ت-رواية الجرجاني: وممّن لَهُ سَنَدٌ مُتَّصِلٌ بهذه الرواية أبو علي الغسَّاني الجياني(٦٥) (ت ٤٩٨هـ).

ج–رواية المستملي[٦٦] (ت ٣٧٦هـ).

ح–رواية السرخسي[٦٧] (ت ٣٨١هـ).

د–رواية الكشميهني[٦٨] (ت ٣٨٩هـ). وهؤلاء الثلاثة الرُّواة يروي عنهم:

ر– أبو ذر الهروي[٦٩] (ت ٤٣٥هـ). وروايته للجامع الصحيح عن شيوخه الثلاثة مِنْ أتقن الروايات، قال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): "لضَبْطه لَهَا، وتمييزه لاختلاف سياقها"[٧٠]. ولقد انتشرت روايةُ أبي ذر في الغَرْب الإسلامي انتشارًا واسعًا حتى قال القاضي عياض: "وسمع منه –يعني من أبي ذَرٍّ عالم لا يحصى من أهل الأقطار من شيوخ شيوخنا، وقد أدركنا غير واحدٍ ممن سمع منْه..."[٧١].

ومنْ بَيْن الرُّواة عن أبي ذر منْ أهل الأندلس –مِمَّن لم يتقدم له ذِكْرٌ أبو الوليد الباجي[٧٢] (ت ٤٧٤هـ).

ز–رواية كريمة بنت أحمد المروزية[٧٣]. (ت ٤٦٣هـ): ومن الرواة عنها من أهل الأندلس –غيرُ مَنْ تَقَدم: أبو بكر جُماهـــــر بن عبد الرحمن الحجري الطليطلي[٧٤] (ت ٤٦٦هـ)– وابنُ أخيه محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن جُماهر الطُّليطلي[٧٥] (ت ٤٨٨هـ).

وممن روى عن كريمة «الجامع الصحيح» مكاتبةً أبو علي الجياني[٧٦].

٣– لَمَّا دخل "صحيح البخاري" إلى الأندلس، وذَاعَ صيتُه في أرْجَائها، تَعلَّقت به همَمُ كثير من الأندلسيين الذين لم يُرْزَقُوا الرِّحلة من أجل روايته عن رُواته الأوائل في المشرق الإسْلامي، فَتَسَابَقُوا لسَماع الكتاب ممن لَهُ سماعٌ مُتَّصلٌ إلى جَامعه، ممن أَسْعفهم في مُرَادهمْ، فَنَثَرَ لَهُم ما عنْده، فممّن تَصَدى لإسماع الجامع الصّحيح:

أ– الأصيلي: "الذي: "قَرَأَ عليه النّاس كتاب البخاري، رواية أبي زيد المَرْوزي وغير ذلك"[٧٧].

ب– المهلب بن أبي صفرة أبو القاسم المري[٧٨] (ت ٤٣٥هـ): "وبأبي القَاسم حَيَا كتابُ البخاري بالأندلس، لأنَه قرئ عليه تَفَقُّهًا أيّام حياته"[٧٩].

ت– محمد بن يحيى بن زكريا المعروف بابن بَرْطَال: يقوله ابنُ الفَرضي: "... وقد حدّث بكتاب البُخاري عن أبي علي بن السَّكن وقرأته عليه، وسَمعهُ معنا

جماعةٌ من الشيوخ والكُهُول، وكان مَجْلِسُنَا مِنْ أَجَلِّ المجالس التي شهِدْناها بالأندلس[٨٠].

ج- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور القيسي: "اعتمده الأندلسيون وعوّلوا عليه في صحيح البخاري"[٨١]، قال ابن رشيد السَّبتي (ت ٧٢١هـ): "حدَّث عنه الجلّة من الأندلسيين، وأجلُّهم: أبو الحسن شريح ابن محمد، والقاضي أبو القاسم أحمد بن محمد ابن منظور، وأبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عثمان التجيبي القيظي السَّرَقُسطي المعروف بملاَّطش، وكَتَبَ عنْه صحيح البخاري، وَقَرَأَهُ مَرَّةً، وسمعه أخرى بقراءة أبي محمد ابن العربي"[٨٢].

ح- أبو علي الحسين بن محمد الصَّدفي السرقسطي[٨٣] (ت ٥١٤هـ): الحافظُ الجوّال الذّي رَحَل إلى المشرق[٨٤]، فَلَمَا قَفَلَ راجعًا إلى الأندلس، قَصَد مُرسية: "فاْستوطنها وَقَعَدَ يحدّثُ النّاس بجامعها، ورَحَل النّاس من البُلدان إليه، وكَثُرَ سماعُهم عليه"[٨٥].

فممَّن سمع منْه صحيح البخـــاري: محمد بن مالك الطَّائي أبو عبد الله[٨٦] (لم أقـف على وفاتـه)، ومحمـد بن محمد اللَّخمـي أبو عبد الله البلنسي[٨٧] (ت ٥٥٦هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن القيسي الشّاطبي[٨٨] (ت ٥٦١هـ)، وغيرهم كثيرٌ ممّن اْشتمل عليهم معجم أصحاب أبي علي الصدفي .

٤- اعتنى أهل الأندلس بكتابة الجامع الصّحيح للإمام البُخاري، مع تَحْسين التَّقييد، وإتقان الرَّسم، وإجادة الخط، حتّى لقد أصبحت كُتُبُهم في ذلك أصُولاً عتَاقًا، وذخائر نفيسة يُعَوَّل عليها في معرفة ألفاظ "الصحيح"، فمن مظاهر عناية أهل الأندلس بالجامع الصحيح كتابةَ:

أ- العناية باْستنساخ نسخٍ عديدة من الجامع الصحيح: فَممَّن فَعَلَ ذلك محمد بن علي الوراق الأندلسي (لم أقف على وفاته)، الذي وصفه ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ) قائلا: "وكان حَسَنَ الخَطِّ، وقد كَتَبَ من صحيح البخاريِّ غير ما نُسخةٍ، هي بأيدي النّاس"[٨٩].

ب-العناية بالمقابلة والتّصحيح، وكتابة الفوائد الزّوائد في حواشي الفَرْع المُنْتسخ: فَممَّن كتب «الجامع الصحيح» على الوَصْف المذكور:

١- سليمان بن أبي القاسم نجاح مولى المؤيد بالله أبو داود المقرئ[٩٠] (ت ٤٩٠هـ) قال الضبي (ت ٥٦٩هـ): "وكَتَبَ بيده كتاب البخاريِّ في عشرة

أسْفار، وَكَتَبَ "مسلما" في ستة، وَقَرَأَهُمَا مَعًا على الباجي، وعلى أبي العبّاس العذري مرّات، واْحتفل في تقييدهما حتى صَارَ كلُّ واحد منْهما أَصْلاً يُقتدى به، رَحَلْتُ إلى بلنسية في عام ستة وتسعين، وقابلتُ بهما كتابي واْنتفعتُ بهما، ... وأُخبرتُ أنَّ أبا عليٍّ بن سكّرة الحافظَ قَابَلَ أَصْلَيْه بالكتابيْن المذكوريْن، وناهيكَ بهما صحةً وتقييدًا"[٩١].

٢– أبو علي الصَّدفي: الذي "كان حَسَنَ الخط، جيِّد الضَّبط،... وكان حافظًا لمصنّفات الحديث، قائمًا عليها، ... وكَتَبَ منْها صحيح البخاريِّ في سفْر..."[٩٢].

٣– وهذه النُّسخةُ الصَّدفية منَ «الجامع الصحيح» جليلةُ القَدْر، عَزَّ نظيرُهَا بَيْنَ الأُصُولِ العتاق التّي وَصلتْ إلَيْنَا، إذْ وَقَفَ عليها محمد بن عبد السَّلام النَّاصري الدَّرعي (ت ١٢٣٩هـ)، وَوَصَفَ منْ حالها، فَعَظَّمَ وَفَخَّمَ فَقَال: "... وَقَدْ كَانتْ تداولتْها الأيْدي بالأندلس ومصر في سالف القُرون، وعليها منْ سَمَاعَات العُلماء: عياض فَمَنْ دُونَه إلى الحافظ ابن حجر... وكَتَبَ عليها الحافظُ السَّخاويُّ ما نَصَّهُ: "هي الأصلُ الذي يُعتمدُ عليه ويُرجعُ عند الاختلاف إليه، ولقد اعتمد عَلَيْها شيخُنَا الحافظُ أبو الفضل بن حجر، حَالَةَ شَرْحه للجامع الذي سَمَّاهُ فتح الباري..."[٩٣].

٤– أبو بكر ابن خير الإشبيلي[٩٤]: قال ابن رشيد السَّبتي في ترجمة أبي الحسن الغافقي الشآري الأندلسي (ت ٦٤٩هـ): "حدَّث عنْه جماعةٌ من الجلَّة منهم: شيخنا أبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم، سمع عليه جميع الجامع الصّحيح لإمام الحديث أبي عبد الله البخاري... وكان السَّماع في الأصْلِ العتيق الذي يَعزُّ نَظيرُهُ، وهو أَصْلُ الراوية المحدث الضابط المُتقن أبي بكر ابن خَيْر الذي بخطِّ أبيه... ومُعاناة أبي بكر بالأَصْل العتيق أصلِ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى ابن منظور القَيْسي الذّي عليه اعتمادُ الأندلسيين، وأتْقنه الضابطُ أبو بكر ابن خيْر إتْقَانًا لا مزيد عليه، وقَابَلَهُ بالأصل المَذْكُور مرّات"[٩٥].

٥– عُرف أهلُ الأندلس بكثرة الحفظ وجَوْدته، وقُوَّة الاستحضار وسُرعته، فأقبلوا –من أجل ذلك– على حفظ الجامع الصحيح للإمام البُخاري، وكانوا في ذلك على طبقات بعضُها فوق بعض: أ–حفْظُ «الجامع الصَّحيح» مَتْنًا وسَنَدًا: وَمنْ بَيْن مَنْ تَهَيَّأَ لَهُ ذلك: الحافظ أبو علي الصَّدفي، فَقَدْ نَقَل ابنُ فرحون (ت

٧٩٩هـ) عن القاضي عياض قال: "قال القاضي أبو علي بن سُكَّرة لبعض الفُقهاء: خذ الصّحيح، فاْذكر أيَّ متْن أردتَ أَذْكُر لَكَ سَنَدَهُ، أَوْ أيَّ سَنَدٍ أردتَ أَذْكُر لَكَ مَتْنَهُ"(٩٦).

ب–حفظ الجامع الصّحيح مَتْنًا، مَعَ المَعْرِفَةِ برجاله: ومِمّن كان بهذا الوَصْفِ: أحمد بن محمد بن مغيث الصدفي الطليطلي(٩٧) (ت ٤٥٩هـ). قال ابنُ بشكوال: "وكان يحفظُ صحيح البخاري ويعرفُ رجاله"(٩٨).

ت–حفظُ الجامع الصحيح مَتْنًا، والاقتصار على ذلك: ومِمّن تحقّق لَهُ ذلك: عبد الله بن عيسى الشَّيْباني السّرقسطي(٩٩) (ت ٥٣٠هـ)، وعبد الملك بن بونة العبدري، مِنْ واد الحجارة(١٠٠) (ت٥٤٩هـ) .

وابن قطرال علي بن عبد الله الأنصاري القرطبي ت ٦٥١هـ بمراكش عرض صحيح البخاري عن ظهر قلب . (١٠١)

٦–وَضْع التآليف على الجامع الصّحيح، وذلك ما سَوْفَ نَبْسُطُ فيه القولَ في المبحث الثاني إنْ شَاء الله تعالى.

المبحث الثاني : المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصحيح

هذا هُوَ المقصدُ الأهَمُّ الّذي مَهَّدْنَا لَهُ قَبلُ بنُبذٍ عن دُخول الجامع الصّحيح إلى الأندلس، وعناية أَهلها به، وَسَنُفصل القولَ ههنا عن تآليف أهل الأندلسِ الموضوعةِ على الجامع الصّحيح على وجه العُموم، وعن تآليفهم الموضوعةِ في شَرْحه على وَجْهِ الخُصوص، مع الإلمام بثلاثةِ شُرُوحٍ أندلسية نادرةٍ قَلَّ مَنْ عرَّجَ عليها.

المطلب الأول : تآليف أهل الأندلس الموضوعة على الجامع الصحيح

أقبل أهل الأندلس على«الجامع الصَّحيح» للإمام البُخاري شَرْحًا لمتونه، واختصارًا لمَضْمُونه، وكلامًا على مشكلات أسانيده، فكان مِنْ كلٍّ ذلك كُتب كثيرة، سَنَضْرِبُ صفحًا هنا عن ذِكْرِ ما يتعلق بشرحه منها، وسَنَقْتَصرُ على ذكر ما سوى ذلك.

أ–كتب شرح غريب الجامع الصّحيح: فَمِنْ ذلك:

١–تفسير غريب ما في الصحيحيْن[١٠٢] للحُميدي[١٠٣] (ت ٤٧٨هـ).

٢–كتابٌ في شَرْح غريب البخاري لمحمد بن أحمد الجياني[١٠٤] (ت ٥٤٠هـ) قال ابنُ الخطيب (ت ٧٧٦هـ) في ترجمته: "... صنّف في شرح غريب البخاري مصنَّفًا مُفيدًا"[١٠٥].

٣–مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قُرقول[١٠٦] إبراهيم بن يوسف المري في (ت ٥٦٩هـ)شرح غريب البخاري ومسلم والموطأ، على مثال مشارق الأنوار للقاضي عياض[١٠٧].

ب– كتب الجَمْع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم: فمن ذلك:

١–الجمع بين الصحيحين[١٠٨] للحميدي: قال ابن بشكوال: "ولأبي عبد الله هذا كتابٌ حسنٌ، جمع فيه صَحيحَيْ البخاري ومُسلم، أَخَذَهُ النّاسُ عنْه"[١٠٩]. وشرحه ابن هبيرة (ت٥٥٦هـ) في الإفصاح عن معاني الصحاح، وطبع في قطر سنة ١٤٠٦هـ .

٢–الجمع بين الصحيحين[١١٠] لعبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخرّاط [١١١] (ت ٥٨١هـ).

٣–كتاب في الجمع بين الصحيحين لمحمد بن سعيد بن أحمد بن عبد البر بن مجاهد الأنصاري الإشبيلي[١١٢] (ت ٥٨٣هـ): ذَكَرَهُ لَهُ ابن الزبير (ت ٧٠٨هـ) في صلة الصّلة[١١٣].

٤–مفتاح السعادة في الجمع بين الصحيحين[١١٤]: لابن عربي الحاتمي الطّائي الأندلسي[١١٥] (ت ٦٣٧هـ).

ج– كتب في اختصار الجامع الصّحيح: منها:

١–النّصيح في اختصار الصّحيح للمهلب بن أبي صفرة الأندلسي، وشرحه مؤلفه(١١٦) .

٢ – مختصر صحيح البخاري لابن الخراط الإشبيلي [١١٧] .

٣ – التصحيح في اختصار الصحيح [١١٨]، لأبي بكر بييش بن محمد العبدري الشاطبي [١١٩] (ت ٥٨٢هـ) .

٤– مختصر صحيح البخاري[١٢٠] لابن عربي الحاتمي.

٥- مختصر الجامع الصّحيح[١٢١] للقرطبي[١٢٢] المُفَسِّر (ت ٦٥٦هـ).

٦- بهجة النُّفوس وغايتها بمعرفة مَالَهَا وما عليها[١٢٣]، لابن أبي جمرة الأندلسي [١٢٤] (ت ٦٩٩هـ).

د- كتب في زوائد الجامع الصّحيح منها:

١-رجّالة[١٢٥] المعلم بزوائد البخاري على مسلم لأحمد بن محمد الأموي الإشبيلي المعروف بابن الرومية[١٢٦] (ت ٦٣٧هـ)، وعكسه : في الأحاديث التي زادها مسلم على البخاري للعبدري الشاطبي السابق آنفا (١٢٧) .

هـ- كتب في تراجم الجامع الصّحيح: منها:

١-لأحمد بن رشيق أبي العبّاس[١٢٨] (ت بعد ٤٤٠هـ)، قال الحميدي في ترجمته: "ولَهُ كلامٌ مُدَوَّنٌ على تراجم كتاب الصحيح لأبي عبد الله البخاري، ومَعَاني ما أشكل من ذلك"[١٢٩].

و – كتب في رجال الجامع الصّحيح: منها:

١-التَّعديل والتَّجريح لمن خرّج عنْه البخاريُّ في الصّحيح[١٣٠]، لأبي الوليد الباجي[١٣١] (ت ٤٧٤هـ).

٢-تقييد المُهْمل وتمييز المُشكل[١٣٢] لأبي علي الجياني، وقال ابنُ بشكوال في وَصْف هذا الكتاب: "وهو كتابٌ حسنٌ مفيدٌ"[١٣٣].

٣ ـ تسمية شيوخ البخاري [١٣٤] ، لعبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله القرطبي [١٣٥] (ت ٦١٢هـ) .

٤ ـ المعلم بأسماء شيوخ البخاري ومسلم [١٣٦] ، لابن خلفون محمد بن اسماعيل الأوبني الأندلسي [١٣٧] (ت ٦٣٦هـ) ، وله أيضا :

أ ـ المفهم في شيوخ البخاري ومسلم (١٣٨) .

ب ـ التعريف بأسماء أصحاب النبي عليه السلام المخرج حديثهم في كتاب البخاري ومسلم [١٣٩] .

ز – كتب في المشكل في الجامع الصحيح: منها:

١- أجوبة ابن حزم على مواضع من البُخاري[١٤٠]لابن حزم[١٤١] (ت ٤٥٦هـ).

٢- الأجوبة الموعبة على المسائل المستغربة[١٤٢]، لابن عبد البر[١٤٣]

(ت ٤٦٣هـ).

٣–شرح مُشكل ما وقع في البخـاري والُموطَّأ[١٤٤] لمحمد بن خلف الألبيري[١٤٥] (ت ٥٣٧هـ).

ح – كتب في شروط البخاري منها :

١ ـ المعلم بما رواه البخاري على شرط مسلم (١٤٦) ، لابن الرومية الأندلسي .

المطلب الثاني : شروح أهل الأندلس للجامع الصّحيح

لقد أفْضَى بنا البحثُ والتنقيبُ إلى أنَّ بداية التأليف في شَرْحِ الجامع الصحيح بالأندلس، كانت في أوائل القرن الخامس الهجري، ففي هذا القرْن أَيْنَعَتْ ثمارُ مَنْ نَشر الجامع الصّحيح بالأندلس روايةً، فآتَتْ أُكلها في الإقبال على الكتاب تَفَقُّهًا ودرايةً، فكان مِنْ ذلك شُروحٌ نُفَصّل القولَ فيها على هذا النّحو:

١– شروح أهل القرن الخامس الهجري:

١–شرح أبي الزناد القُرطبي[١٤٧](ت ٤٢٢هـ): ولقد أعرض ابنُ بشكوال في الصلة عن الإشارة إلى أنّ لأبي الزناد شَرْحًا لصحيح البخاري، وأوّلُ مَنْ وجدته نَسَبَ هذا الشَّرْحَ إلى أبي الزناد، السخاويُّ (ت ٩٠٢هـ) في الجواهـر والـدرر[١٤٨]، ثمَّ تَلاَهُ القسطلاني، وحاجي خليفة، والقنوجي والمباركفوري ومحمد عصام عرار[١٤٩].

ولَمَّا كَانَ شَرْح أبي الزناد القُرطبي مَغْمُورا، لا يكاد يَعرفه من أهل التّخصص إلاّ الواحدُ بعد الواحد، عَقَدَتْ العزمَ على البحث عنه في فهارس مكتبات المخطوطات التي وقعت بيدي، فلم أظفر بشيء، ثمَّ أقبلتُ على مسْألة بعض أهل العلم عنْه، فَذَكَر لي فاضلٌ منْهم أنَّه سَمِعَ به، بَيْدَ أنَّه لا يعرفه مخطوطًا ولا مطبوعًا، فَجَزَمْتُ بأنَّ الشَّرح قد فُقد في كتب أندلسية قَدْ ضاعت، ثم أُلهمتُ البحثَ عَنْ شذرات منقولة منْه في بعض الشروح المتأخرة عنه لصحيح البخاري، فَوَقَفْتُ من ذلك على مقتبسات في الكتب الآتية:

– شرح صحيح البخاري لابن بطال (ت ٤٤٩هـ).

– مصابيح الجامع الصّحيح لمحمد بن أبي الدَّماميني (ت ٨٢٧هـ).

– فتح الباري للحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢) .

– عمدة القاري للعلامة العيني (ت ٨٥٥هـ).

ولقد ذَكَرَ أصحابُ هذه الشروح المقتبسات منسوبةً إلى أبي الزناد صراحةً، بَيْنَمَا ذَكَرَ طَرَفًا منها غير مَنْسُوب إلى الشارح الأَنْدلسي كُلٌّ مِنْ: القاضي عياض في "إكمال المُعلم بفوائد مُسلم"، والقرطبي في "المُفهم لما أَشْكَلَ من تلخيص كتاب مسلم"، والنووي (ت ٦٧٦هـ) في "المنهاج في شَرْح صحيح مسلم بن الحجّاج".

ولقد رأيتُ أنْ أَذْكُر هُنَا هذه المقتبسات، مُرَتّبًا لها وَفْقَ ترتيب الجامع الصّحيح، مُصَدّرًا النّص المُقتبس بقولي: "قال فُلان..." ثم أذكر كلام أبي الزناد، بِحَسَبِ سياق المقتبس لَهُ، ناقلاً مناسبة النص، والسبب الدَّاعي الى النقل، ثم علق على النص المنقول بما قد يجلي معناه ويوضح مبناه.

كتاب بدء الوحي: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

١–قال ابن بطال في شرح حديث: "...فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها..."(١٥٠): "وقال أبو الزناد بن سراج: "إنما خص المرأة بالذكر، من بين سائر الأشياء في هذا الحديث، لأن العرب في الجاهلية كانت لا تزوج المولى العربية، ولا يزوجون بناتهم، إلا من الأكفاء في النسب، فلما جاء الإسلام سوى بين المسلمين في مناكحهم، وصار كل واحد من المسلمين كفئا لصاحبه، فهاجر كثير من الناس إلى المدينة، ليتزوج بها، حتى سمي بعضهم مهاجر أم قيس"(١٥١).

٢–قال ابن بطال في شرح قوله صلى الله عليه وسلم:"أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس..."(١٥٢) "...وقال أبو الزناد: إنما ذكر عليه السلام أنه يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، ويتمثل له رجلا، ولم يذكر الرؤيا، وقد أعلمنا عليه السلام، أن رؤياه وحي، وذلك أنه أخبرهم بما ينفرد به دون الناس، لأن الرؤيا الصالحة قد يشركه غيره فيها"(١٥٣).

٣–قال ابن بطال: "وقال أبو الزناد: قوله: "فغطني"(١٥٤) ثلاث مرات، فيه دليل على أن المستحب في مبالغة تكرير التنبيه، والحض على التعليم ثـلاث مرات"(١٥٥).

كتاب الإيمان : باب أمور الإيمان

٤–قال ابن بطال: "قال أبو الزناد: "وقوله: "الحياء شعبة من الإيمان[١٥٦] "، يريد –والله أعلم– أن الحياء يبعث على طاعة الله، ويمنع من ارتكاب المعاصي، كما يمنع الإيمان، وإن كان الحياء غريزة، فالإيمان فعل المؤمن، فاشتبها من هذه الجهة"[١٥٧].

باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

٥–قال ابن بطال: "وقوله: "والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"[١٥٨].

قال أبو الزناد: "لما انقطعت الهجرة وفضلها، حزن على فواتها من لم يدركها من أصحاب الرسول عليه السلام، فأعلمهم أن المهاجر على الحقيقة من هجر ما نهى الله عنه"[١٥٩].

باب إطعام الطعام من الإيمان

٦–قال ابن بطال: "قال أبو الزناد: في هذا الحديث[١٦٠] الحض على المواساة، واستجلاب قلوب الناس بإطعام الطعام، وبذل السلام، لأنه ليس شيء أجلب للمحبة، وأثبت للمودة منهما، وقد مدح الله المطعم للطعام فقال: "ويطعمون الطعام على حبه...الآية، ثم ذكر الله جزيل ما أثابهم عليه فقال: "فوقاهم الله شر ذلك اليوم، ولقاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا...الآيات"[١٦١].

باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

٧–قال ابن بطال في شرح حديث أنس: "لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" [١٦٢] : "... وقال أبو الزناد: ظاهره التساوي وحقيقته التفضيل، لأن الإنسان يحب أن يكون أفضل الناس، فإذا أحب لأخيه مثله، فقد دخل هو في جملة المفضولين، ألا ترى أن الإنسان يحب أن ينتصف من حقه ومظلمته، فإذا كمل إيمانه، وكانت لأخيه عنده مظلمة أو حق، بادر إلى إنصافه من نفسه، وآثر الحق، وإن كان عليه فيه بعض المشقة، وقد روي هذا المعنى عن الفضيل بن عياض أنه قال لسفيان بن عيينة: "إن كنت تريد أن يكون الناس كلهم مثلك، فما أديت لله النصيحة، كيف وأنت تود أنهم دونك"[١٦٣].

باب حب الرسول من الإيمان

٨–قال ابن بطال: "قال أبو الزناد: "هذا[١٦٤] من جوامع الكلم الذي أوتيه عليه السلام، لأنه قد جمع في هذه الألفاظ اليسيرة معاني كثيرة، لأن أقسام المحبة ثلاثة: محبة إجلال وعظمة، كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة استحسان ومشاكلة كمحبة سائر الناس، فحصر صنوف المحبة"[١٦٥].

باب من الدين الفرار من الفتن

٩–قال ابن بطال: "... وقال أبو الزناد: خص الغنم[١٦٦]من بين سائر الأشياء، حضا على التواضع، وتنبيها على إيثار الخمول، وترك الاستعلاء والظهور، وقد رعاها الأنبياء والصالحون، وقال عليه السلام: "ما بعث الله نبيا إلاّ رعى الغنم"، وأخبر أن السكينة في أهل الغنم"[١٦٧].

باب قول الرسول – عليه السلام - : "أنا أعلمكم بالله"

١٠–قال ابن بطال: "قال أبو الزناد: "وقولهم: "لسنا كهيئتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر"، فإنما قالوا ذلك رغبة في التزيد من الأعمال، لما كانوا يعلمونه من اجتهاده في العبادة وهو قد غفر له ما تقدم من ذنبه، فعند ذلك غضب، إذ كان أولى منهم بالعمل، لعلمه بما عند الله تعالى، قال تعالى: "إنما يخشى الله من عباده، العلماء"، وقد قال عليه السلام: "أفلا أكون عبدا شكورا، وفي اجتهاده في عمله وغضبه من قولهم، دليل أنه لا يجب أن يتكل العامل على عمله، وأن يكون بين الرجاء والخوف"[١٦٨].

باب السلام من الإسلام...

١١–قال ابن بطال: "قال أبو الزناد: جمع عمار في هذه الألفاظ[١٦٩] الثلاث الخير كله، لأنك إذا أنصفته من نفسك، فقد بلغت الغاية بينك وبين خالقك، وبينك وبين الناس، ولم تضيع شيئا، وبذل السلام للعالم هو كقوله عليه السلام: "وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف"، وهذا حض على مكارم الأخلاق، واستئلاف النفوس، والإنفاق من الإقتار هي الغاية في الكرم، وقد مدح الله من هذه صفته بقوله: "ويؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة"، وهذا عام في نفقة الرجل على أهله، وفي كل نفقة هي طاعة لله تعالى، ودل ذلك أن نفقة المعسر على أهله أعظم أجرا من نفقة الموسر، وهذا كله من كمال الإيمان"[١٧٠].

باب المعاصي من أمر الجاهلية ...

١٢–قال ابن بطال: "...وقال أبو عبد الله بن أبي صفرة في حديث أبي بكرة[١٧١]: "انظر حرص المقتول على قتل صاحبه، وأنه لو بقي لقتله وعوقب عليه، عذب الله الذين تقاسموا بالله على صالح، لنبيتنه وأهله، فأهلكهم كلهم"، قال أبو الزناد: ليس هذا بشيء، لأن الذين أرادوا قتل صالح كانوا كفرة، فعاقبهم الله بكفرهم، وأن الذي كان حريصا على قتل صاحبه، أوجب له النبي صلى الله عليه وسلم النار بنيته، ومباشرته للقتل، ولا يعارض هذا قوله عليه السلام: "من هم بسيئة، فلم يعملها، كتبت له حسنة"، لأن الذي لم يعمل السيئة ليس كمثل الذي شرع في القتال مع الإصرار، وسأستقصي الكلام في معنى قوله عليه السلام:"إذا التقى المسلمان بسيفيهما" في كتاب الفتن إن شاء الله"[١٧٢].

باب علامات المنافق

١٣–قال ابن بطال: "قال أبو الزناد: "ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بالنفاق المذكور في هذين الحديثين[١٧٣] ، النفاق الذي صاحبه في الدرك الأسفل من النار، الذي هو أشد الكفر، وإنما أراد أنها خصال تشبه معنى النفاق في اللغة، لأن النفاق يظهر المرء خلاف ما يبطن، وهذا المعنى موجود في الكذب، وخلف الوعد والخيانة"[١٧٤].

باب الدين يسر ...

١٤–قال ابن بطال: "قال أبو الزناد: "والمراد بهذا الحديث[١٧٥] الحض على الرفق في العمل، وهو كقوله عليه السلام: "عليكم من العمل ما تطيقون"، وقال لعبد الله بن عمر: "وإذا فعلت هجمت عينك، ونقمت نفسك"[١٧٦].

باب اتباع الجنائز من الإيمان

١٥–قال ابن بطال في شرح حديث الباب[١٧٧]: "...وقال أبو الزناد: حض عليه السلام على التواصل في الحياة وبعد الممات، والذي حض عليه في الحياة قوله عليه السلام: "صل من قطعك، وأعط من حرمك"، وقال: "لا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا"[١٧٨].

باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر

١٦–قال ابن بطال: "... وقال أبو الزنـاد: "إنما يحبـط عمل المؤمن وهو لا يشعر، إذا عد الذنب يسيرا، فاحتقره وكان عند الله عظيما، وليس الحبط ها هنا بمخرج من الإيمان، وإنما هو نقصان منه، ولا قوله: "أن تحبط أعمالكم، وأنتم لا تشعرون"، يوجب أن يكفر المؤمن وهو لا يعلم، لأنه كما لا يكون الكافر مؤمنا إلا باختيار الإيمان على الكفر، والقصد إليه، فكذلك لا يكون المؤمن كافرا من حيث لا يقصد إلى الكفر ولا يختاره، رحمة من الله لعباده، والدليل على صحة هذا قوله: "وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون"، فإن قيل: فما أنت قائل في حديث أبي بكر الصديق، وأبي موسى أن النبي –عليه السلام– قال: "الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل على الصفا"، وهذا يدل على أنه قد يخرج من الإيمان إلى الكفر من حيث لا يعلم، بخلاف ما قلت، قيل له: ليس كما ذكرت، وليس هذا الحديث بمخالف لما شرحناه، بل هو مبين له وموضح لمعناه، وذلك أنه قد ثبت عن الرسول عليه السلام، أنه قال: "اتقوا الرياء، فإنه الشرك الأصغر"، والرياء ينقسم قسمين: فإن كان الرياء في عقد الإيمان، فهو كفر ونفاق، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، فلا يصح أن يخاطب بهذا الحديث، وإن كان الرياء لمن سلم له عقد الإيمان من الشرك، ولحقه شيء من الرياء في بعض أعماله، فليس ذلك بمخرج من الإيمان إلا أنه مذموم فاعله، لأنه أشرك في بعض أعماله حمد المخلوقين مع حمد ربه، فحرم ثواب عمله ذلك، يدل على هذا حديث أبي سعيد الخدري قال: "خرج علينا رسول الله، ونحن نتحدث عن الدجال، فقال: إن أخوف عندي من ذلك الشرك الخفي، أن يعمل الرجل لمكان الرجل، فإذا دعا الله بالأعمال يوم القيامة، قال: هذا لي، فما كان لي قبلته، وما لم يكن لي تركته" رواه الطبري، فلا محالة أن هذا الضرب من الرياء، لا يوجب الكفر، وهذا المعنى في الحديث، قال عليه السلام: "الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل"، ثم قال: "يا أبا بكر، ألا أدلك على ما يذهب صغير ذلك وكبيره، قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك، وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم"، وفي بعض الطرق يقول ذلك ثلاث مرات. فبان بهذا الحديث، أن من كـان هـذا القـدر من الريـاء فيه خفيا، كخفاء دبيب النمل على الصفا، أن عقد الإيمان ثابت له، ولا يخرج بذلك الخاطر الفاسد من الرياء، الذي زين له الشيطان فيه محمدة المخلوقين إلى الشرك، ولذلك علم النبي –عليه السلام– أمته مداواة ذلك الخاطر بالاستعاذة، مما يذهب صغير

ذلك وكبيره، وليست هذه حالة المنافقين، ولا صفات الكافرين، وليس هذا بمخالف لما بيّنا والله أعلم"[١٧٩].

كتاب العلم : باب القراءة والعرض على المحدّث ...

١٧–قال ابن بطال في شرح حديث أنس بن مالك[١٨٠]: "قال أبو الزناد: "وفيه جواز الاتكاء بين الناس في المجالس"[١٨١].

١٨– قال ابن بطال: "... وقال أبو الزناد: "وقوله: "إني سائلك، فمشدد عليك" [١٨٢]، فيه من الفقه، أن يقدم الإنسان بين يدي حديثه مقدمة يعتذر فيها، ليحسن موقع حديثه عند المحدث، ويصبره على ما يأتي منه، وهو من حسن التوصل"[١٨٣].

باب قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "رب مبلغ أوعى من سامع"

١٩–قال ابن بطال: "... وقال أبو الزناد: وفيه[١٨٤] جواز القعود على ظهور الدواب، إذا احتيج إلى ذلك، ولم يكن لأشر، لقوله عليه السلام: "لا تتخذوا ظهور الدواب مجالس"، وإنما خطب على البعير ليسمع الناس، وإنما أمسك إنسان بخطامه ليتفرغ للحديث، ولا يشغل بإمساك البعير"[١٨٥].

باب العلم قبل القول والعمل ...

٢٠–قال ابن بطال: "... قال أبو الزناد: "وقد قال عليه السلام: "أتيت بقدح لبن، فشربت، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب، قالوا، فما أولته يا رسول الله؟ قال : العلم"[١٨٦].

باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة

٢١–قال ابن بطال في شرح حديث: "... وإني أتخولكم بالموعظة كما كان عليه السلام، يتخولنا بها مخافة السآمة علينا"[١٨٧]. : "قال أبو الزناد: أراد عليه السلام الرفق بأمته، ليأخذوا الأعمال بنشاط وحرص عليها، وقد وصفه الله بهذه الصفة، فقال: "عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"[١٨٨].

باب الفتيا، وهو واقف على الدابة وغيرها

٢٢–قال ابن بطال: "قال أبو الزناد: [١٨٩] فيه من الفقه: أن الرجل، إذا أشار بيده، أو برأسه، أو بشيء يفهم به إشارته، أنه جائز عليه"[١٩٠].

باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره

٢٣–قال ابن بطال: "قال أبو الزناد: "قول الرجل:"لا أكاد أدرك الصلاة، مما يطول بنا فلان"[١٩١]، يدل أنه كان رجلا مريضا، أو ضعيفا، فكان إذا طول به الإمام في القيام، لا يكاد يبلغ الركوع والسجود، إلا وقد زاد ضعفا عن اتباعه، فلا يكاد يركع معه ولا يسجد[١٩٢]، وإنما غضب عليه لأنه كره التطويل في الصلاة من أجل أن فيهم المريض، والضعيف، وذا الحاجة، فأراد الرفق والتيسير بأمته، ولم يكن نهيه عليه السلام عن الطول في الصلاة من أجل أنه لا يجوز ذلك، لأنه كان عليه السلام يصلي في مسجده، ويقرأ بالسور الطوال، مثل سورة يوسف وغيرها، وإنما كان يفعل هذا، لأنه كان يصلي معه جلة أصحابه، ومن أكثر همه طلب العلم والصلاة، وكذلك غضبه حين سئل عن ضالة الإبل، لأنه لا يخشى عليها ضياع، ففارق المعنى الذي أبيح من أجله أخذ اللقطة، وهو خوف تلفها"[١٩٣].

باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم...

٢٤–قال ابن بطال: "قال أبو الزناد: "إنما كان يكرر الكلام ثلاثا، والسلام ثلاثا، إذا خشي أن لا يفهم عنه، أو لا يسمع سلامه، أو إذا أراد الإبلاغ في التعليم، أو الزجر في الموعظة"[١٩٤].

باب السمر في العلم

٢٥–قال ابن بطال في شرح حديث ابن عباس[١٩٥]: "... وقال أبو الزناد: السامر في بيت ميمونة كان ابن عباس"[١٩٦].

باب حفظ العلم

٢٦–قال ابن بطال في شرح حديث أبي هريرة[١٩٧]: "قال أبو الزناد: فيه حفظ العلم والدؤوب عليه، والمواظبة على طلبه، وهي فضيلة لأبي هريرة، فضله عليه السلام بها بأن قال له: ابسط رداءك، ثم قال: ضمه"، فما نسي شيئاً بعد"[١٩٨].

٢٧– قال ابن بطال :" وقوله : " وأما الآخر لو بثته قطع هذا البلعوم" قال المهلب وابو الزناد : يعني أنها كانت أحاديث أشراط الساعة، وما عرف به عليه السلام، من فساد الدين؛ وتغير الأحوال، والتضييع لحقوق الله تعالى؛ كقوله عليه السلام :" يكون فساد هذا الدين على يدي أغيلمة سـفهاء من قريش، وكان أبو هريرة يقول: لو شئت أن أسميهم بأسمائهم، فخشي على نفسه، فلم

يصرح" [١٩٩].

باب الإنصات للعلماء

٢٨–قال ابن بطال: قال أبو الزناد: "الإنصات للعلماء، والتوقير لهم، لازم للمتعلمين، لأن العلماء ورثة الأنبياء، وقد أمر الله عباده المؤمنين ألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي، ولا يجهروا له بالقول خوف حبوط أعمالهم، وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أمر الناس بالسكوت وقرأ: "لا ترفعوا أصواتكم، فوق صوت النبي"، ويتأول أنه يجب من الإنصات والتوقير، عند قراءة حديث الرسول، مثل ما يجب له عليه السلام، فكذلك يجب توقير العلماء، والإنصات لهم: لأنهم الذين يحيون سننه، ويقومون بشريعته"[٢٠٠].

باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس، فيقع في أشد منه

٢٩– قال ابن بطال في شرح حديث عائشة [٢٠١]: "قال أبو الزناد: إنما خشي أن تنكره قلوب الناس، لقرب عهدهم بالكفر، ويظنون إنما يفعل ذلك، لينفرد بالفخر دونهم"[٢٠٢].

كتاب الوضوء : باب إسباغ الوضوء ...

٣٠–قال ابن بطال في شرح حديث أسامة: "دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة، حتى إذا كان بالشعب نزل، فبال ثم توضأ، ولم يسبغ الوضوء..."[٢٠٣]: "... وقال أبو الزناد: توضأ ولم يسبغ، لذكر الله تعالى، لأنهم يكثرون ذكر الله عند الدفع من عرفة"[٢٠٤].

باب وضع الماء عند الخلاء

٣١– قال ابن بطال في شرح حديث ابن عباس: "اللهم فقهه في الدين"[٢٠٥]:"قال أبو الزناد: "دعا له النبي عليه السلام، أن يفقهه الله في الدين، سرورا منه بانتباهه إلى وضع الماء، وهو من أمور الدين"[٢٠٦].

وبعد استخراج المقتبسات من شرح أبي الزناد القرطبي: من الكتب التي أومأنا إليها آنفا، تعن ملاحظات نجمل القول فيها على النحو الآتي:

١–تظهر المقتبسات من شرح أبي الزناد القرطبي، بعض معالم منهجه في الشرح، فمن ذلك:

أ- عنايته بالكلام على ما في تراجم الأبواب من آثار.

ب- عنايته باستنباط الأحكام من أحاديث الأبواب، ومن خطته في ذلك أن يقول: "في هذا الحديث..."، أو يقول: "... فيه من الفقه..."، أو يقول: "فيه..."، ثم يسوق ما قد لاح له في الحديث من فقه وأحكام.

ت- اهتمامه بتفسير المراد، من الألفاظ التي تحتمل، أكثر من معنى، ومحاولة بيان مقصود الشارع من هذه الألفاظ[٢٠٧].

ج- اهتمامه بتفسير بعض صنيع النبي صلى الله عليه وسلم، وطلب المخارج الصحيحة لذلك، حتى يفهم فعله صلى الله عليه وسلم على أحسن الوجوه، وأصوب المحامل [٢٠٨].

ح- لفت النظر إلى النكات التي اشتمل عليها الحديث، مما لا يستطيع غير الحاذق المنتهي الوقوف عليه[٢٠٩]، وأبو الزناد في هذا الباب، غواص على الدقائق، مستثير للدفائن، وذلك دليل على قوة الذكاء، وسلامة الفهم.

٢-تظهر النصوص الباقية من شرح أبي الزناد القرطبي، أنه اعتنى بانتقاد كلام من سبقه إلى شرح شيء من صحيح البخاري [٢١٠].

٣-يعد شرح ابن بطال المصدر الأول، في النقل عن أبي الزناد القرطبي، والإكثار من ذلك [٢١١]، وهذا يقوي الظن بأن ابن بطال اطلع على شرح أبي الزناد، واستفاد منه في شرحه للجامع الصحيح.

٤-نقل ابن بطال جميع المقتبسات عن أبي الزناد القرطبي، مسلما لها، غير منتقد لمعانيها.

٥-لم يثبت البحث -إلى الآن- أن أحدا من علماء الغرب الإسلامي، نقل عن أبي الزناد في شرحه، وصرح باسمه، إلا ما كان من ابن بطال، كما سبق بيانه، وما ورد عند القاضي عياض، والقرطبي من إشارات إلى كلام أبي الزناد، فلم يقع فيها التصريح باسمه[٢١٢]، على أنه يترجح أن يكون عياض والقرطبي قد نقلا ذلك من ابن بطال.

٦-تشتمل النصوص المستخرجة من شرح أبي الزناد القرطبي، على كلامه على الكتب التالية: كتاب بدء الوحي، وكتاب الإيمان، وكتاب العلم، وكتاب الوضوء، وقد يفهم من ذلك أن أبا الزناد القرطبي، لم يشرح بقية كتب الجامع الصحيح، ولقد كان يصح هذا الفهم، لو لم يصرح أبو الزناد باستقصاء الكلام في

معنى قولـــه صلى الله عليه وسلم: "إذا التقى المســـلمان بسيـــفهما" في كتاب الفتن (٢١٣)، ومعلوم أن كتاب الفتن واقع في أواخر الجامع الصحيح.

ولقد يشكل على هذا، أن ابن بطال، ومن أتى بعده من شراح البخاري من المشارقة كابن حجر والعيني، لم ينقلوا شيئا عن أبي الزناد بعد كتاب الوضوء، فعلى هذا يترجح القول بأن أبا الزناد لم يتم شرحه، وهذا الإيراد وجيه، ووجه الجمع بينه وبين ما سبق أن يقال: إنَّ أبا الزناد شرع في شرح الجامع الصحيح، لكنه لم يُتمَّهُ، إما لأنه صرف عن ذلك، أو اخترمته المنية دونه.

٢- شرح ابن الصّابوني القُرطبي(٢١٤) (ت ٤٢٣هـ)، يقول ابن بشكوال في التنويه به: "ولَهُ كتابٌ في تفســـير البخـــاري على حروف المعجم، كثير الفائدة" (٢١٥).

٣- شرح المهلب بن أبي صفرة المري (٢١٦): ولقد أثْبَتَ جميعُ مَنْ تَرْجَمَ للمهلب لَهُ شَرْحا للجامع الصحيح، كالحميدي الذي يقول: "ولَهُ كلام في شَرْح الموطأ، وفي كتاب "الجامع" لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري" (٢١٧). وكابن بشكوال الذي يقول: "... ولَهُ كتابٌ في شرح البخاري" (٢١٨).

وهذا الشرح توجد مادته مبثوثة عند ابن بطال، والكرماني (ت ٧٨٢هـ)، وابن حجر، والعيني والقســـطلاني (ت ٩٢٣هـ) في شروحهـــم للجامع الصحيح (٢١٩).

٤- شرح أبي الحسن بن بطال القرطبي(٢٢٠) (ت ٤٤٩هـ): وهو مطبوع بعناية أبي تميم ياسر بن إبراهيم، في ١٠ أجزاء (٢٢١).

٥- شرح أبي حفص الهوزني الإشبيلي(٢٢٢) (ت ٤٦٠هـ): لم أَقِفْ في كُتب الْمتَرْجِمين لَهُ على التنصيص على شَرْحه لصحيح البُخاري، وأوّل مَنْ نَبّه على شرحه السّخاويُّ، ثمَّ تَلاَهُ القسطلاني وغيرهما (٢٢٣).

٦- شَرْح ابن قرذيال الطليطلي(٢٢٤)(ت ٤٧٩هـ): قال ابن بشكوال: "ولَهُ تأليف في شرح كتاب البخاري" (٢٢٥).

٧- شَرح ابن المرابط المري (٢٢٦) (ت ٤٨٥هـ): قال ابن بشكوال: "... لَهُ تأليفٌ في شَرْح البخاري"(٢٢٧)، وَوَصف الصّفدي (ت ٧٦٤هـ) شَرْح ابن المرابط بأنّه كبير(٢٢٨)، وأَضَافَ ابنُ فرحون صفة الحُسْن إليه فقال: "... ولهُ في شَرْحٌ البخاري كتابٌ كبيرٌ حَسَنٌ"(٢٢٩).

وَأَوْهَمَت عبارةُ السَّخاويِّ أنّ ابنَ المرابط، "اختصر شَرْح المهلب بن أبي صفرة: وزَاد عليه فوائد، مُكتفيا بذلك[٢٣٠]، وفي كلام السّخاوي نَظَرٌ إذ الذّين تَرْجَمُوا لابن المرابط ذكروا لَهُ شَرْحًا مستقلا للجامع الصحيح، ولقد مرَّ بك النَّقل بذلك عَنْهم، وهذا الذهبيُّ لَمّا ذكر ابن المرابط في وفيات سنة ٤٨٥هـ قال: "... وشارحُ البخاري القاضي أبو عبد الله محمد بن خَلَف ابن المرابط"[٢٣١].

وتوجد بعضُ مادة هذا الشّرح مبثوثةً — في الجملة— في فتح الباري، وعمدة القاري وإرشاد السّاري [٢٣٢].

٨- شَرْح عيسى بن سهل الأسدي[٢٣٣] (ت ٤٨٦هـ): لم تذكر مصادر ترجمة ابنِ سهل شرحه للجامع الصحيح[٢٣٤]، بَيْد أنَّ السّخاويّ نبّه على شرحه لَمّا قال في أثناء سَرْده لجملةٍ من شُروح الجامع الصّحيح: "... وأبو الأصبغ عيسى بن سَهل بن عبد الله الأسدي ذَكَر أنّه كَتَبَ إلى بعض أئمة عصره يسأله عن إشكال في سنة ست وخمسين وخمسمائة، وكان هذا الشيخ يروي الكتاب عن الأصيلي، وهذا الشّرح ينقل عنْه ابن رُشيد"[٢٣٥].

ونعتقد أنَّ ابن رشيد السَّبتي ينقل عن ابن سهل في رحلته المَشْهورة، ولقد راجعتُ ما قدْ طُبع منها[٢٣٦]، فَلَم أقف على طِلْبتي، فجزمتُ أنّ ذلك واقعٌ فيما لم يُطبع منَ الرّحلة.

وبينما أنا أطالع "فتح الباري"، إذ مرَّ بي ذِكْر ابنِ سهل وشرحه، فَمَررتُ على الكتاب كُلّه، طمعًا في الاستزادة من النُّقول، بَيْد أني لم أظفر بعد الإستقراء التّام والتّتبع الزائد، سوى بنقلٍ واحدٍ، هأنذا مُوردُهُ هنا على الطريقة التّي سبقت مع شَرْح أبي الزّناد القُرطبي.

كتاب التفسير: باب: "وروادته التّي هو في بَيْتها عن نفسه، وغلّقت الأبواب، وقالت هيت لك"...

قال الحافظ ابن حجر: "قوله: "وعن ابن مسعود: بل عجبت ويَسْخرون"[٢٣٧]. هكذا وقع في هذا الموضع معطوفا على الإسناد الذي قَبله... وَقَدْ أَشْكَلَتْ مُناسبة إيراد هذه الآية في هذا الموضع، فإنّها من سورة والصافات، وليس في هذه السورة من معناها شيء، لكن أَوْرَدَ البخاريُّ في الباب حديث عبد الله وهو ابن مسعود: إنَّ قريشًا لَمَّا أبطئوا على النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم اكفنيهم بسَبْع كَسَبْع يوسف" الحديث، ولا تظهر مناسبتُه أيضا للتّرجمة

المذكورة، وهي قوله: "باب قَوْله وراودتهُ التِّي هو في بَيْتها عن نفسه"، وقد تكلَّفَ لها أبو الأصبغ عيسى بن سَهْل في شَرْحه فيمَا نَقَلَتْهُ من رحلة أبي عبد الله ابن رُشيد عَنْه ما مُلَخَّصُهُ: " تَرْجَمَ البخاريُّ: "باب قوله: "وراودته التِّي هُوَ في بَيْتها عن نفسه"، وأَدْخَلَ حديث ابن مسعود: "إنَّ قريشا لَمَّا أبْطَئُوا..." الحديث، وأَوْرد قبل ذلك في التّرجمة عن ابن مسعود: "بل عجبت ويسخرون" قال: فأنتهى إلى موضع الفَائدة وَلَمْ يَذْكُرها وهو قوله: "وإذا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ، وإذا رأوا آيةً يستسخرون"، قال: ويؤخذ منْ ذلك مُناسبةُ التّبويب المذكورةُ، ووجهه أنَّه شَبَّهَ ما عرَضَ ليوسف عليه السّلام مع إخوته، ومَعَ امرأة العزيز بما عَرَضَ لمحمد صلى الله عليه وسلم مع قومه حين أَخْرَجُوه من وطنه، كما أخرج يوسفَ إخوتُه، وبَاعُوهُ لمن ٱستعبده، فلم يُعَنِّفْ النبي صلى الله عليه وسلم قومَهُ لَمّا فتح مكّة، كما لم يُعَنِّف يوسف إخوته حين قالُوا لَهُ: "تَالله لقد آثرك الله علينا"، ودعَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالمطر لَمَّا سَأَلَهُ أبو سفيان أنْ يَسْتَسْقي لَهُم كمَا دَعَا يوسف لإخوته لَمَّا جَاؤُوهُ نادمين فقال: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لَكُم"، قال: فمعنى الآية: بل عجبتَ من حِلْمي عَنْهُم مع سُخريتهم بك، وتماديهم على غَيِّهِمْ، وعَلَى قراءة ابن مسعود بالضم، بل عجبتُ من حلمك عن قَوْمك إذ أَتَوْكَ مُتَوسلين بك، فَدَعَوْتَ فَكُشفَ عَنْهُم، وذلك كَحلْم يُوسف عن إخوته إذْ أَتَوْهُ مُحتاجين، وكَحلْمه عن امرأة العزيز حيث أَغْرَتْ به سَيِّدها وكَذَبَتْ عليه، ثمّ سَجَنَتْهُ ثمّ عَفَا عنها بعد ذلك ولم يُؤَاخذها، قالَ: فَظَهَرَ تناسبُ هاتين الآيَتَيْن في المعنى مَعَ بُعْد الظّاهر بَيْنَهُما، قال: ومثلُ هذا كثيرٌ في كتابه مّما عابَهُ به مَنْ لم يفتح اللهُ عليه والله المستعان"(٢٣٨).

٢- شروح أهل القرن السّادس الهجري:

٩- شَرح ابن ورد المري(٢٣٩) **(ت ٥٤٠هـ)**: وأقدمُ مَنْ وجدته ذَكَرَ لابن ورد شرحًا للجامع الصّحيح، ابنُ الأبار، فإنّه قال أثناءَ تَعْداد تآليفه: "... وتعليقٌ على صحيح البخاري"، وذَكَرَهُ لَهُ السّخاوي وسمّاه: "الإحتواء على غاية المَطْلب والمُراد في شَرْح ما ٱشتمل عليه مصنّف البُخاري من علم المتن بَعْد التّعريف برجال الإسناد" قال: "وهو واسعٌ جدًّا"(٢٤٠).

وَذَكَرَ صاحبُ شجرة النُّور الزكية شَرْحَ ابن ورد وقال: "لَهُ شرحٌ على البخاري، ظَهَرَ علْمُهُ فيه"(٢٤١).

ومازلتُ أَتَطَلَّبُ الأخبارَ عن هذا الشّرح، وأُراجع لذلك فَهارس مكتبات

المخطوطات شرقًا وغربًا، حتّى يئستُ من الوقوف عليه، وقَطعـــتُ أنه فُـــقد في جملـــة ما قَدْ ضاع من تراث الأندلس المجيد، ثُمَّ طفقتُ أبحثُ في شروح المتأخرين عن مادة هذا الشرح، فلم أقف بعد الاستقراء التّام، سوى على ثلاثة نُقُول عن أبي القاسم ابن ورد في "فتح الباري" قَدْ تكون منْ شرحه"(٢٤٢).

ولقد رأيتُ أَنْ أَسُوق هُنا نُقُولَ ابن حجر عن ابن وَرْد، كَسياقي لِنَظائرها عند أبي الزّناد القُرطبي وابنِ سَهْل.

كتاب العيدين: باب إذا فَاتَهُ العيد يُصلي وكذلك النِّساء ومن كان في البيوت والقُرى، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا عيدنا أهل الإسلام"...

١- قال ابن حجر في شَرْح التّرجمة: "وأَوْرد البخاريُّ في هذا الباب حديث عائشة في قصّة الجارتَيْن المُغنيتَيْن، وأَشْكَلَتْ مطابقته للتَّرْجمة على جماعة، وأجاب ابن المنير بأنّ ذلك يُؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم: "إنّها أيّام عيد"، فأضاف نسبة العيد إلى اليوم، فَيَسْتَوي في إقامتها الفذُّ والجماعةُ والنّساء والرجال، قال ابنُ رشيد: "وتَتمَّتُهُ أَنْ يقال إنّها أيّام عيد أيْ لأهل الإسْلام بدليل قَوْله في الحديث الآخر: "عيدنا أهل الإسْلام"، ولهذا ذَكَرَهُ البخاريُّ في صَدْر الباب، وأهل الإسلام شاملٌ لجميعهم أفرادًا وجمْعًا، وهذا يُستفاد منه الحكم الثّاني لا مشروعية القضاء، قال: "والذي يظهر لي أنّه أخذ مشروعية القضاء(٢٤٣) من قوله: "فإنّها أيّام عيد" أيْ أيّام منًى، فلمّا سمّاها أيّام عيد، كانت محلاً لأداء هذه الصّلاة، لأنّها شُرعت ليوم العيد، فيُستَفَادُ من ذلك أنّها تقع أداءً، وأنّ لوقت الأداء آخرًا وهو آخر أيّام منًى، قال: "ووجدت بخطِّ أبي القاسم بن الوَرْد: لمّا سوَّغ صلى الله عليه وسلم للنّساء راحة(٢٤٤) العيد المُباحة، كان آكد أنْ يَنْدُبَهُنَّ إلى صلاته في بيوتهنّ"(٢٤٥).

كتاب التهجد: باب ترك القيام للمريض

٢- قال ابن حجر في شرح حديث جُندب بن عبد الله(٢٤٦): "تنبيهٌ: استشكل أبو القاسم ابن الوَرْد مطابقة حديث جندب للترجمة، وتَبِعَهُ ابن التين فقال: احتباس جبريل ليس ذكره في هذا الباب في موضعه انتهى"(٢٤٧).

كتاب الزكاة: باب فضل صدقة الشحيح الصّحيح...

٣- قال ابن حجر في شَرْح حديث عائشة (٢٤٨)- عند ذكر الخلاف فيمن كانت أوّلَ نسائه صلى الله عليه وسلم مَوْتًا بَعْدَه: "... وهذا يخالف ما أَطْلَقَهُ الشيخُ محيي الدين(٢٤٩) حيث قال: أجمع أهل السير على أن زينب أوَّلُ مَنْ مات

من أزواجه، وسَبَقَهُ إلى نَقْل الاتفاق ابنُ بطّال كما تقدم، ويُمكن الجوابُ بأنّ النّقل مقيّد بأهل السّير فلا يرد نقل قول مَنْ خالَفَهُم من أهل النّقل ممّن لا يدخل في زمرة أهل السير... وقد تقدم عن ابن بطال أنّ الضّمير في قوله: "فكانت" لزينب، وذكرتُ مَا يُعَكِّرُ عليه، لكن يمكن أنْ يكون تفسيرُه بسودة من بعض الرُّواة، لكون غيرها لم يتقدّم له ذكرٌ، فلمَّا لم يطّلع على قصّة زينب، وكونها أوّلَ الأزواج لُحُوقًا به جَعَلَ الضّمائر كلها لسودة، وهذا عندي من أبي عوانة[٢٥٠]، فقد خَالَفَهُ في ذلك ابن عيينة عن فراس[٢٥١] كما قرأتُ بخط ابن رشيد أنّه قرأه بخط أبي القاسم ابن الورد"[٢٥٢].

١٠- النيرين في الصحيحين لابن العربي المعافري[٢٥٣]: هكذا ذَكَره صاحبُ شجرة النُّور الزَّكية[٢٥٤]، فيكون ابنُ العربي إنّما ألّف كتابًا واحدًا في شَرْح الصحيحين، وَذَكَرَ صاحبُ كشف الظنون وصاحبُ هدية العارفين[٢٥٥] ،شرحا للجامع الصحيح لابن العربي، ولقد أشار إليه ابن العربي في بعض كتبه [٢٥٦].

٣ ـــ شروح أهل القرن السابع :

١ ـــ شرح الجامع الصحيح لأبي جعفر أحمد بن محمد القرطبي المالكي، ابن أبي الحجة (ت ٦٤٣هـــ) [٢٥٧].

٤- شروح أهل القرن الثامن الهجري :

١-المتجـــر[٢٥٨]الربيح في شَـــرْح الجامــــع الصحيح للساحلي[٢٥٩] (ت ٧٥٤هـــ). قال لسان الدين ابن الخطيب :"قال: منْه ما جَرَّدَهُ من المبيضة، ومنْه ما لم يَسْمح الدَّهر بإتمامه"[٢٦٠].

٢-المجالس للشاطبي[٢٦١] (ت ٧٩٠هـــ): قال صاحب شجرة النور الزكية في بيان موضوع هذا الكتاب: "شَرَحَ به كتاب البيوع من البخاري، فيه من الفوائد والتّحقيقات ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى"[٢٦٢].

وَنَسْتَحبُّ للقارئ في خاتمة هذا التّطْوَاف عَبْر شُروح الأندلسيين للجامع الصحيح أنْ يُلِمَّ بهذه الملاحظات التي نَسُوقُها على هذا النحو:

١- لا جَرَمَ أنَّ القرن الخامس الهجري، هُوَ قَرْنُ شَرْحِ الجامع الصّحيح في

الأندلس، إذ وُجد فيه –كما مرّ آنفاً ستة منَ الأعلام، كان فيهم أكابر شرّاح الصّحيح ممّن ٱستفاض أمرُهُ، وطَارَتْ شُهرتُهُ في العالم الإسلامي، كالمُهَلَّب بن أبي صُفرة، وابن بطّال.

٢- نَحْسَبُ أنَّ أبا الزناد القُرطبي هُوَ أسبق شارح أندلسي اعتنى بالجامع الصحيح، لتقدم وفاته، على مَنْ سواهُ من الشُّراح الذين كانوا من أهل المائة الخامسة، وإذا ثَبَتَتْ لَهُ الأَوليَّة في الأندلس كان ثاني شارحٍ للجامع الصحيح في الغَرْب الإسلامي بعد الداودي[٢٦٣] (ت ٤٠٢هـــ)، وثالث شارح للصّحيح بعد الإمام الخطَّابي [٢٦٤] (ت ٣٨٨هـــ) في العالم الإسلامي.

٣- أَثْبَتَ البحثُ الذي بَلَغَهُ الوُسْعُ والتَّقصي الذّي أَمْكَنَ مع الجَهْد، أنَّ جميع شُروح أهل الأندلس للجامع الصحيح ضاعتْ، إلاّ ما كان منْ أَمْر شرحِ ابن بطال، ومَا سَمَحَ الدَّهرُ بإبقائه من تلك الشُّروح الضائعة، وُجدَتْ منْه شذراتٌ مبثوثةٌ في بعض شروح المتأخرين منْ أهل المشرق الإسلامي.

٤- أسْفرَتِ الدراسةُ التحليلية المقَارنَةُ لبعض هذه الشُّروح أنّ أصحابها قد ٱستمدَّ بعضُهم من بعضٍ، كابن بطال الذّي نَقَل كثيرًا عن المهلب بن أبي صفرة[٢٦٥] ، واستفاد أيضا من أبي الزناد القُرطبي على ما أومأنا إليه آنفا.

٥- وهذا مَلْحَظٌ لطيفٌ مَأخَذُه، دقيقٌ استخراجه، ذلك أنّ أغلب المدن الإسلامية بالأندلس قَدْ تَدَاعَتْ إلى شَرح الجامع الصّحيح، فمن قرطبة إلى اشبيلية، إلى المرية وطليطلة، وذلك لَعَمْر الله دليلٌ على حفاوة أهل هذه الناحية من بلاد الإسلام بذلك الديوان الجليل.

المبحث الثالث: خصائص المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصحيح

لئن أَسْعفَتْنَا المصادر فيما قَدْ مضى منْ هذه الدراسة، فَلَقد قَعَدَتْ بنا الحيلةُ عن ٱستيفاء ما قَدْ يُسْعَفُ في القَوْل في هذا المبحث لقلّة المادة، وضيق مناحي التَّصرف فيها، ولقد أَصَبْنا مع هذا الذّي قُلناه –في شرْح ابن بطال المطبوع، وفي تلك الشذرات المبثوثة من تلك الشُّروح الضائعة خير دليلٍ ومُعين.

المطلب الأول: مُجمل مميزات المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصّحيح

لا يذهبن عنك أنّ ما سوف نذكره في هذا المطلب من خصائص ومُمَيِّزات للمدرسة الأندلسية في شَرْح الجامع الصّحيح، قد يكون بعضُه خاصًّا بشَرْحٍ منْها دون شَرْح، وقد يكون ذلك أمرًا عامًّا تشترك فيه الشروح كلُّها فمن هذه الخصائص:

١– حكايةُ مذهبِ مالك ونَقْلُ أقوالِ أعلام المالكية:

وتلك خصيصة ٱنفرد بها شُرّاح الجامع الصحيح في الأندلس حتى أَرْبَوا فيها على غيرهم، بحيث لا يُشاركهُم فيها أحدٌ من الشُراح المشارقة إلاَّ منْ كان منْهم على مذهبهم.

وممن ضَرب في ذلك بسَهم وافرٍ: ابن بطال حتى قال الكرماني: "وها هو ذا كتاب الإمام أبي الحسن علي بن خلف المالكي المغربي المشهور بابن بطال إنّما هو غالبًا في فقه الإمـــــام مالك رضي الله عنْه، من غير تَعرض لَما هـــو الكتابُ مَصْنُوع لَهُ"(٢٦٦).

والحق أنّ رأي الكرماني في شَرْح ابن بطّال فيه غلو، وآية ذلك أمران: الأول: أنّ ابن بطال تكلم في شرحه على قضايا مختلفة في اللغة والحديث ومسائل العقيدة.

الثاني: أنّ ابن بطال كان يتتبّع أقوال جميع أصحاب المذاهب في المسائل الفقهية، فيذكر خلافهم فيها، وأدلة ذلك(٢٦٧).

٢– العناية التّامة بالفقه والاستنباط: وذلك مُلفتٌ للنّظر في شروح المدرسة الأندلسية للجامع الصّحيح، ولَعَلَّ السبب في ذلك ٱشتغال أغلب رجالِ هذه المدرسةِ بالفقه، وإقبالهم عليه.

ولقد كان منهج أعلام المدرسة في ٱستنباط فقْه مُتُون الجامع الصحيح مُتقاربا، إذ يُصدِّرُ الشّارحُ الأندلسيُّ ٱستنباطهُ بقوله: "فيه من الفقه..."، ثمّ يذكر نصّ المُستنبط، كقول أبي الزناد القُرطبي في الكلام على قول الرجل السائل: "إنّي سائلك فمشدد عليك" : فيه من الفقه أنْ يقدّم الإنسان بين يدي حديثه مقدمةً يعتذر فيها، ليحسن موقع حديثه عند المحدث..."(٢٦٨).

وكقول المهلب بن أبي صفرة في شرح حديث جرير، وما أمَرَه به رسول الله

صلى الله عليه وسلم من هَدْم ذي الخلطة[٢٦٩]: "في حديث جرير من الفقه جواز هَتْك كل ما ٱفتتن النّاس به من بناءٍ أو إنسان أوْ حيوان أوْ غيره"[٢٧٠].

٣–العناية بنقل الخلاف الفقهي، وحكاية مختلف آراء أهل العلم: وهذا الأمر ظاهرٌ بيِّنٌ لمن مَارَسَ شرح ابن بطال أدنى مُمَارسة، ونسوق هنا دليلاً واحد يغني عمّا وراءه من أدلة: فعند ذكْر الخلاف في المسح على الخف قال ابن بطال: "وٱختلفوا فيمن قدّم غسل رجليه، ولبس خفيه، ثمّ أتَمَّ وُضُوءه هل لَهُ أن يمسح عليهما إنْ أحدثَ؟ فقال مالك والشّافعي وأحمد وإسحاق: لا يجوز... وقال أبو حنيفة والثوري والمزني: يجوز له المسح عليهما..."[٢٧١]. ثم مضى ابن بطال ينقل أقوال العلم في هذه المسألة، مع نظرٍ فيها ومُناقشةٍ لأدلتها، وتفريعٍ لمسائل أخرى تدخل فيها[٢٧٢].

٤– حَلُّ مشكلات الجامع الصّحيح، والكلام على ما غَمُضَ منْها، وممن بَرَعَ في هذا السبيل منْ شَرّاح الجامع الصّحيح، ابنُ سهل على ما مرَّ بيانه في النّص الذي نقلناهُ عنْه آنفا.

٥– التوسع في النُّقول عن أهل العلم من المشارقة: كالنقول عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـــ)، والإمام ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـــ)، والإمام الطبري (ت ٣١٠هـــ)، وابن المنذر (ت ٣١٨هـــ)، والطّحاوي (ت ٣٢١هـــ)، والخطابي[٢٧٣].

٦– الاعتراض على البخاري في عدم مراعاة المناسبة بين الحديث والترجمة: بادر شرّاح المدرسة الأندلسية إلى الاعتراض على الإمام البخاري في بعض التّراجم التي لا تظهر مطابقتها للأحاديث الواردة تحتها، حتّى لقد بزُّوا في ذلك أقرانَهُم منَ المشارقة الذّين ٱستفادوا منهم في هذا البَاب على ما سنذكره بَعْدُ. ومن أمثلة هذا الضّرب عند المهلب بن أبي صُفرة: ما ذَكَرَهُ ابنُ حجر عند بيان وَجْه إدخال البخاري لحديث عبد الله بن عمر في الثلاثة الرهط أصحاب الغار في "باب من استأجر أجيرًا فَتَركَ أَجْرَهُ، فعمل فيه المستأجر فَزَادَ أوْ مَنْ عمل في مالِ غيره فٱسْتَفْضَلَ". قال ابن حجر: "وقد تَعَقَّب المهلب ترجمة البخاري بأنّه ليس في القصة دليل لما تَرْجَمَ به، وإنّما اتّجر الرّجُلُ في أجر أجيره، ثُمَّ أعطاهُ لَهُ على سبيل التبرع، وإنّما الذي كان يلزمه قدرُ العمل خاصّة"[٢٧٤].

وإذا كان بعضُ أعلام المدرسة الأندلسية، قد تَعَقَّبُوا البخاري أحيانًا من هذه

الجهة، فإنَّهم قد انتصروا لَهُ أحْيَانًا أخرى ووجَّهُوا مناسبة الحديث أو الأحاديث لِمَا قَدْ تَرْجَم به[٢٧٥].

٧– عدم الإمعان في تتبع صنيع البخاري في التراجم: وذلك من جهة عدم تَتَبُّع البُخاري في الترجمة على حديث وإيراده لَــهُ بسند معيّن، ثم إيراده كرةً أخرى في ترجمة أخرى، وهذا أمرٌ قد نَقِمَهُ ابنُ خلدون (ت ٨٠٧هـ) على بعض شرّاح الأندلس لما قال: "...وَمَنْ شَرَحَه [٢٧٦]ولم يَسْتَوْفِ هذا[٢٧٧] فيه، فَلَمْ يُوفِ حقَّ الشّرح كابن بطال وابن[٢٧٨] المهلب..."[٢٧٩].

٨– عدم التوسع في الكلام على أسانيد الجامع الصّحيح: وهذا أمرٌ ظاهرٌ فيما وَقَعَ إليَّ من نُقولٍ متناثرة منْ شُرُوحٍ أندلسية ضائعة، ولقد يظهر ذلك جليا لقارئ شَرْح ابن بطال، بَيْدَ أننا لا نَمْلكُ أنْ نُعَمِّمَ هذا الحُكم على شروح المدرسة الأندلسية جميعها، لأنَّ مادّتها الموجودة عندنا ناقصة، ثمّ لأنّ في هذه الشرّوح ما قدْ يلوح منْ عنوانه، أنّ صاحبه عَرَضَ للأسانيد، وذلك هو شَرْح ابن وَرْد الذي سمّاه: "الاحتواء على غاية المطلب والمُراد في شَرْح ما اشتمل عليه مصنّف البخاري من علم المتن بعد التّعريف برجال الإسناد".

ولربّما كان السببُ في إعراض شُرّاح الجامع الصّحيح من أهل الأندلس راجعًا إلى أحد هذين الأمرين: الأول: اكتفاؤهم بما ألّفه علماء جزيرتهم في رجال البخاري، وضبط أسمائهم، وتقييد مهملهم، الثاني: انشغالهم بفقه متون الجامع الصّحيح عن أسانيده، لأنّهم علموا أنّ المقصد الأهم لعامّة النّاس من تصانيفهم هو الفقهُ المستنبط من الكتاب، الباعثُ على العمل، والدّاعي إلى خير الدنيا والآخرة، ولهذا المعنى كان بعض شُرّاح المدرسة الأندلسية يجلسون للنّاس لإسماع شَرْحهم[٢٨٠].

المطلب الثاني : أثر المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصحيح في المشرق الإسلامي

لقد هَيَّأَ لشُرّاح الجامع الصّحيح من المدرسة الأندلسية أن تنتقل بعض شروحهم إلى المشرق برحلة بعض مَنْ رواها عنْهم، أو بإفادة بعض مَنْ نقل منْها في شيء منْ كتبه التي دخلت إلى المشرق.

وهكذا وصلت بعض الشُّروح الأندلسية لصحيح البخاري إلى المشرق،

وأفاد منْها أغلب مَنْ تصدّى لشرح هذا الكتاب الجليل. وَسَنَعْرِضُ هنا لكلِّ شَرْح أندلسي أَمْكَنَ وِجْدَانُ أَثَرٍ لَهُ في بعض شروح أهل المشرق:

١- شرح أبي الزناد القُرطبي: والذّي يَتَرَجَّح عندي -بتأمل النقول الواردة عن أبي الزناد القرطبي في بعض شروح أهل المشرق، أنّ أصحاب هذه الشّروح لم يطّلعوا على الشرح الأندلسي، ولا رَأَوْهُ، وإنما استفادوا النَّقْلَ منْه من ابن بطال، وبيان ذلك يكون على هذا النحو:

أ- النّقل الوحيدُ الوارد عند النووي (ت ٦٨٦هـ) [٢٨١] عن أبي الزناد - وإن لم يصرح فيه باْسمه- إنّما استفادَهُ من ابن بطال أو القاضي عياض[٢٨٢].

ب-ما نقلَهُ الدّماميني في شَرحه عن أبي الزناد، نَقَلَهُ بواسطة ابن بطّال، وإنْ أَمْسَكَ عن التصريح بذلك[٢٨٣].

ت- استفاد ابنُ حجر النقل عن أبي الزناد من ابن بطال، وإنّما رجّحنا هذا الرّأي، لما قدْ عُلم منْ أنّ الحافظَ كان يصرّح غالبًا في أثناء شَرْحه المطول النّافع، بأنه وَقَفَ على بعض شروح أهل الغرب الإسلامي، وأنّه استفاد منها[٢٨٤].

ج- ما نقله البدرُ العيني عن أبي الزناد، فإنما أخذه من ابن بطال[٢٨٥].

٢- شرح المهلب بن أبي صفرة: ظهر أثرُ شرح المهلب بن أبي صفرة بارزًا في كتب الشارحين للبخاري في الشرق الإسلامي، فمن الذين استفادوا منْه:

أ-الحافظ ابن حجر: كان أوفر الشّرّاح حظًّا في الاستمداد من المهلب بن أبي صفرة، إيرادًا لأقواله، وحكايةً لآرائه، وتعقُّبًا لمسائله ونوادره[٢٨٦].

ب-البدر العيني: وهو في مرتبة تلي مرتبة الحافظ ابن حجر في النقل عن المهلّب بن أبي صفرة[٢٨٧]، وأغلب ما استمد من الشرح الأندلسي، انتفع به في اْستنباط الأحكام، واْستخراج فوائد الحديث.

ت- العلامة القسطلاني: وهو ممّن ينقل عن المهلب بن أبي صفرة تَبَعًا لابن حجر غالبًا، واْستقلالا أحيانا[٢٨٨].

ج- شمس الدين الكرماني: ونُقُوله عن المهلب قليلة جدًّا[٢٨٩].

٣- شَرْحُ ابن بطال: حظي شَرْح ابن بطال بعناية فائقة من قبل أهل العلم في الشرق الإسلامي عامة، ومنْ شُرّاح الجامع الصحيح خاصة، فمن أهل العلم: العلاّمة ناصر الدين علي بن محمد ابن المنير (ت ٦٨٥هـ) الذي وَضَعَ عليه

حاشيةً(٢٩٠).

ونوّه العلاّمة عبد الكريم بن علي الأنصاري العراقي (ت ٧٠٤هـ) بالشَرح الأندلسي لَمّا قال مثنيا على شرح الزين ابن المنير (ت ٦٩٥هـ)

وكان ابن بطال تصدى لــمثل ما تصدّى له قاضي القضاة منَ الشَرح
فأجهد في شَرْح البخاري نفســه وأظهر تحقيقا، وبَالَغَ في النُّصح (٢٩١).

ومِنْ شُرّاح الجامع الصحيح:

أ- الحافظ ابن حجر: وكان أكثر الشراح المشارقة نَقْلاً عن ابن بطّال، استفادةً من آرائه، ونقدًا لاستنباطاته، وتعليقًا على أقواله(٢٩٢).

ب-البدر العيني: وهو يلي ابن حجر في مقدار الاستفادة من ابن بطال(٢٩٣).

ت-الكرمانــي والقسطلانــي: وهُمَا دُون الشّارحيْن السَّابقين فيي النقل عن ابن بطال(٢٩٤).

٤- شرح ابن المرابط: اّقتبس منْ هذا الشّرح الأندلسي ثلاثة أعلام من شراح الجامع الصحيح في المشرق وهم: ابن حجر والعيني والقسطلاني(٢٩٥).

٥- شرح ابن سهل وابن ورد: نقل ابن حجر في "فتح الباري" من هذين الشَّرحين بواسطة ابن رشيد السَّبتي، كما أومأنا إلى ذلك آنفا.

❁ ❁ ❁